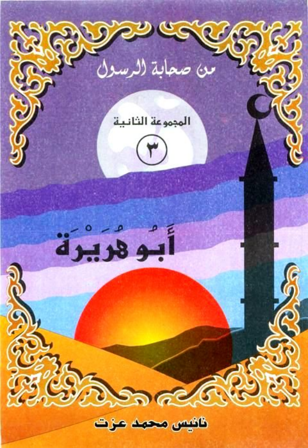

من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
٣
أَبُو هُرَيْرَةَ
نانيس محمد عزت

أبو هريرة

نزل سامحٌ ليلعبَ مع أصدِقائهِ فى الحَديقَةِ الفَسيحَة ، الَّتى قام أهلُ الحىِّ بإنشائِها وتَنسيقِها لتكونَ مُتنزَّهًا ومُتَنَفَّسًا لهم ، بعدَ أن كانت أرضًا فضاءً استعْمَلَها بَعضُهُم مَقلبًا لِلقُمامَة ، فكانتْ مَصدرًا لِلأوبئَةِ وانْتِشار الأَمراض بَينَهم .

فعندَما وصلَ إلى الحَديقَة ، وجدَ أصدقاءَهُ مُلتَفِّينَ حول عُصفورٍ صَغير ، رَبطوا رِجلَه بخَيطٍ طَويل ، وأطلَقوهُ لِيَطير . فما أن شعرَ العُصفورُ بالحُرِّيَّة ، وهَمَّ بأن يَطيرَ ويَرجعَ إلى أُمِّهِ فى عُشِّها ، حتّى سارعَ الأولادُ وجذَبوا الخَيط ، فسقطَ العُصفورُ على الأرض ثانِيةً ، وضَحِكَ الأَولادُ مَسرورين ، وراحوا يُكرِّرونَ اللُّعبَة

المرَّةَ بعد المرَّة .

غضِبَ حُسَامٌ مِن تصرُّفِ أصدقائه ، فخطفَ العصفورَ من أيديهم وأطلقَ سَراحَه . وقالَ لهم مُوَبِّخا :

ـ ما هذا العَبَث ؟ كيفَ سَمحتْ لكُم أنفسُكم أن تُعذِّبوا هذا الطَّائرَ الضَّعيف ، الَّذي لا يَستطيعُ أن يُدافِعَ عن نَفسِه ، وله روحٌ ويُحِسُّ ويَتألَّم ؟ ألمْ تَعلموا أنَّ اللَّهَ سُبحانَه وتَعالَى قد أوصانا بالرِّفقِ بالحَيَوان ، وأن نُحسِنَ مُعامَلَته ؟

راحَ الأولادُ يَنظرونَ بَعضُهم إلى بَعْضٍ في خِزْيٍ وخَجَل ، وقد أحَسُّوا بفَظاعَةِ الجُرمِ الَّذي ارتكَبوه .

واستمرَّ حُسَامٌ في حَديثِه فقال : ألمْ نَدرُس في المَدرَسة ، قِصَّةَ الرَّجلِ الَّذي رأى كَلبًا يَلهثُ من شِدَّةِ العَطَش ، فنزلَ في البئر وأحضَرَ ماءً وسَقاه ، فغفَرَ اللَّهُ له ؟ وألا تَذكُرونَ حَديثَ الرَّسول ـ صلَّى اللَّهُ عليهِ

وسلّم ـ الّذى يَقول : إنَّ امْرأةً دَخلَتِ النّارَ فى هِرَّةٍ حَبسَتْها ، فلا هىَ أطْعَمَتْها ، ولا هى تركَتْها تأكلُ من خَشاشِ الأَرض ؟

فأحنَى الأَولادُ رءوسَهُم فى خَجل ، وقالَ أحمد : كُنّا نَنتَظِرُ حُضورَكَ يا حُسام ، عِندما سقَطَ هذا العُصفورُ من عُشّه ، فأرَدْنا أن نَتسلّى به بَعضَ الوَقت ، وقد عَرفْنا الآنَ خَطأنا ولنْ نفعلَ ذلك مرّةً أُخرَى .

وقالَ ياسِر : نعم ، وقد كانَ تصرُّفُنا مُشينًا غيرَ لائق ، ونرجو أن يَغفِرَ اللّهُ لنا ، ويُسامِحَنا على تَعذيبِنا هذا الكائنَ الضّعيف .

قالَ سامح : كلُّنا نَعرفُ أبا هُريرَة ، أشهرَ من رَوَى الحَديثَ عن رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ ولكنْ هل تَعرفونَ لِماذا سُمِّيَ بهَذا الاسْم ؟

قالَ أحمَد : وهلْ تَعرفُ أنت يا سامح ؟ قُل لنا لماذا .

قالَ سامِح : كـان لأبى هُرَيـرَةَ قِطَّـةٌ صَغيرَةٌ يَرعاها ويَعطِفُ عليها ويُطعِمُها بنَفسِه ، وكانت لا تُفارِقُه أبَدا ، فـأطلقَ عليـه النّـاسُ « أبـا هُرَيـرَة » . وكـانَ الرَّسـولُ ـ صلَّى اللّـهُ عَليـهِ وسَلَّم ـ يُناديـه بـأبى هُرَيـرَةَ تَحبُّبًا وتَقرُّبًا ، ولذلـك كـانَ أبـو هُرَيـرَةَ يُؤثِـرُ هـذا اللقَـبَ ويُفضِّلُه ، حتّى اشتُهِرَ بهِ وأصبـحَ النّـاسُ جميعًا يُنادونَـه « أبا هُرَيرَة » .

ومنذُ أن أسلمَ لازمَ أبو هُريرَةَ الرَّسولَ ـ صلَّى اللّـهُ عَليهِ وسَلَّم ـ ولم يُفارِقْه إلاّ فى أثنـاء نومِـه ، فقـد كـانَ عازِبًا لم يَتزوَّجْ بَعد ، فلَزِم المَسجدَ وتَبـعَ الرَّسـولَ حتّى حَفِظَ عنهُ الكَثير ، وأصبحَ بعدَ أربَعِ سَنَواتٍ فَقط ـ هى السَّنَواتُ الّتى عاصَرَ فيها الرَّسولَ إلى أن انتقلَ الرَّسولُ إلى جِوارِ رَبِّـه ـ أكـثـرَ الصَّحابـةِ حِفظًـا للحَديـث ، وأعلَمَهم به . وتَساءَل بعـضُ الصَّحابَة : كيفَ تكونُ

أحفظَنا لِلحَديثِ يا أبا هُرَيرَة ، وقد سَبقناكَ للإسْلام ، وصاحَبْنا الرَّسولَ مُدَّةً أطوَلَ مِمّا صاحَبْته .

فردَّ عليهم بقولِه : إنَّ أصْحابى منَ المُهاجرينَ كانت تَشغَلُهُم صَفَقاتُهم بالسّوق ، وإنَّ أصْحابى منَ الأنْصارِ كانت تَشغلُهُم أرضُهم ، وإنّى كنتُ امرأً مِسكينًا أُكثِر من مُجالَسةِ الرَّسول ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ فأحضُرُ إذا غابوا ، وأحفَظُ إذا نَسَوْا .

ولم يَنْسَ أبو هُريرَةَ بطَبيعَةِ الحال ، فضلَ الرَّسولِ عَليه ، ودُعاءَهُ له بالعِلم . ويَحكى أبو هُرَيرَةَ أنّه كانَ بالمَسجدِ ذات يَومٍ يَدعو هو وبَعضُ رِفاقِه ، ودخلَ عليهمُ الرَّسولُ ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ وأمَّنَ على دُعائِهم . وأضافَ أبو هُرَيرَةَ على دُعاءِ رِفاقِه : « وأسألُكَ عِلمًا لا يَنْسَى » ، فأمَّنَ عليه ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم . وعِندَما أرادَ الرِّفاقُ أن يَبلُغوا نفسَ المَرتبةِ

وينالوا نفسَ الشَّرف ، قالَ لهم : (سَبقكُم بها الغُلامُ الدَّوسيّ) .

عِندئذٍ قالَ أحمدَ : وأنا يا رَبِّى أسألُك عِلمًا لا يَنسى ، حَتَّى لا أضيعَ فى الامْتِحان .

فضَحكَ الجَميع . وأكملَ سامحٌ القِصَّةَ فقال :

ــ كانت لأبى هُرَيرَةَ أمٌّ مُشركَة ، وكانَ يَخافُ عليها عاقِبَةَ شِركِها ، فكَان دائِمًا يَدعوها لتُؤمِنَ باللّهِ ورَسولِه ، ولكنّها كانت تُصِرُّ على شِركِها . وذاتَ يَوم كانَ يَدعوها لِلإسْلام فردَّت عَليه رَدًّا فيه مَهانَةٌ له ولرَسولِ اللّهِ ــ صلّى اللّهُ عَليه وسَلّم ــ مِمّا أحزَنَه وأبكاه . وذهبَ إلى الرَّسولِ وهو يبكى ، فسألهُ الرَّسولُ عمّا يُبكيهِ فقصَّ عليه أمرَ أُمِّه ، وسألَه الدُّعاءَ لها أن يَهديَها اللّهُ إلى الإسْلام .

وعِندما وصلَ أبو هُرَيرَةَ إلى داره ، فوجِئَ بأُمِّه

تغتسِل وتَتطهَّر ، وتنطقُ بالشَّهادتَين وتُبشِّرُهُ بإسْلامِها .

وكادَ أبو هُريرَةَ يَطيرُ من الفَرح ، وذهبَ ليُبشِّرَ الرَّسولَ ــ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ــ باسْتِجابَةِ اللَّـهِ لدَعوتِه ، وإسْلامِ أُمِّه . فدَعا الرَّسولُ لأبى هُريرَةَ وأُمِّه ، فقال :

ــ اللَّهُمَّ حَبِّب عُبيدَكَ هذا وأُمَّه ، إلى كُلِّ مُؤمنٍ ومُؤمنَة .

قالَ ياسر : إنَّ أبا هُريرَةَ مَحظوظٌ فِعلاً ، فقدْ نالَ أفْضَل دُعاء من رَسولِ اللَّه .

قالَ أحمد : صَدقت ، فليسَ أفْضَلَ من أن تَكونَ مَحبوبًا من الجَميع .

قالَ سامح : إنَّكما تَنظُران إلى الجائزَةِ الَّتى حَصَلَ عَليها ، ولَم تسألا عن الطَّريقِ الَّتى سَلكَها لِيَصلَ إلَى تِلكَ المَرتَبَة ، وتلكَ الجائزَة .

قالَ أحمد : وماذا فعلَ غيرَ حِفظِه الحَديثَ وروايَتِه ؟

قالَ سامح : لقد عانَى أبو هُرَيرَةَ الكَثيرَ في طلبِ العِلم ، فقد لازمَ الرَّسولَ ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ ليتعلَّم منه ، مِمّا جَعلَه يُعانِي من الفَقرِ والجوع ، حتى إنه كان يَتلوَّى على الأرضِ من شِدَّةِ جوعِه ، فكان يَربِطُ على بَطنِه حَجرًا ليُسكِتَ جوعَه .

وأرادَ أبو هُريرَةَ ذاتَ يَومٍ أن يَستَضيفَهُ أحدُ الصَّحابةِ ليُطعِمَه ، فسألَ أبا بَكرٍ عن آيةٍ من القرآن ، على الرَّغم من أنه كانَ يَعلَمُها ، عسَى أن يَدعُوَهُ إلى دارِه ويُطعِمَه ، وكرَّرَ نَفسَ الشَّيءِ مع عُمرَ بنِ الخَطّاب ، فردَّ هو الآخَرُ على سُؤالِه ولم يَدْعُه ، إلى أن مرَّ به الرَّسولُ ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ وشعرَ بما يُعانيهِ من جوعٍ فدَعاهُ لدارِه . وكان في الدَّارِ إناءٌ به بَعضُ اللَّبن ، أهْداهُ بعضُ الصَّحابَةِ إلَى الرَّسولِ ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ

وسَلّم ـ فقالَ الرَّسولُ لأبى هُرَيْـرَة : ادعُ أهـلَ الصُّفَّـة ـ مَقْعَدٍ مُظَلَّلٍ بالمَسجِلِ وهـمْ أضْيافُ الإسْلامِ لم يَـأووا إلى أهْلٍ ولا مال ـ وساوَرَ أبا هُريـرَةَ القَلق . فكيفَ يَكفى هذا اللَّبنُ الجَميع ، وهو نَفسُـهُ جـائِع ، ويُريـدُ أن يَتقوَّتَ به ؟

وسقَى أبو هُرَيرَةَ أهلَ الصُّفَّةِ جَميعا حتّى شَبِعُوا ، ولم يَبقَ غيرهُ وغَيرُ الرَّسولِ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ـ فطلَبَ منه الرَّسُولُ أن يَشرَب ، فَشَربَ حتّى شَبِعَ وارْتَوى ، ثمّ شَربَ الرَّسولُ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّمَ ـ الفَضلَة .

قال ياسر : نعم ، كانَ ذَلِكَ ببَركَةِ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ـ .

قال سَامِح : كانَ أبو هُرَيرَةَ بارًا بأُمِّه ، فكانَ سَبَبًا فى إسْلامِها ، وكانَ يَقولُ لَها كلَّ صَباح : السَّلامُ عَليكِ

يا أُمّاهُ ورحمةُ اللّه وبَركاتُه ، رَحِمَك اللّهُ كما رَبَّيتِنى صَغيرا .

فتردُّ عَليه : ورَحِمَكَ اللّه كما بَرَرْتَ بى كَبيرا .

وإذا عادَ إلى بَيتِه فعلَ مِثلَ ذلك .

وتزوَّجَ أبو هُريرَةَ بُسْرَةَ بنتَ غَـزْوان ، بعدَ أن كـانَ أجيرًا لها . وكانَت العِبـادَةُ لا تَنقَطِعُ مـن دارِه ، فكـانَ يَصومُ النَّهارَ ويقومُ ثلُثَ اللَّيل . ثمَّ يوقِظُ زَوجَته فتقـومُ الثُّلثَ الثّانى ، ثم تُوقِظُ هى ابنَتها فتَقومُ ثُلُثَهُ الأَخير .

وكانَ كثيرَ الإنْفاق فى سَبيلِ اللّـه ، لا يَبخَـلُ علـى الفُقَراء بما عِندَه من مال . وذاتَ يومٍ بَعثَ له مَروانُ بنُ الحَكَمِ مائةَ دينارٍ ذَهَبا ـ وكانَ يُريدُ أن يَختَبرَه ـ فلمّا كان الغـدُ أرْسَـلَ إليـه يَطلُـبُ المائـةَ دينـار ، وقـال : إنَّ خادمى أعْطاها لكَ خطأً ، وأنا لم أُرِدْكَ بها وإنّما أردتُ بها غَيرَك .

وأُحرِجَ أبو هُرَيرَة ، فقد أخْرَجَها كلَّها فى سَبيلِ اللَّـهِ ولم يَبْقَ مِنها دِرهَمٌ واحِد . فرَدَّ على مَروانَ بقَولِه :

ــ لقد تَصدَّقْتُ بها كُلِّها ، فإذا خَرجَ عَطائى فَخُذْها مِنه .

قالَ ياسِر : إنَّهُ حقًّا أهلٌ لدُعاءِ الرَّسولِ لـه ، فقـد جَمعَ بينَ الصَّبرِ على العِلم ، وتَحمُّلِ المَشاقِ فى سَبيلِه . وتَحمَّلَ برَّ الوالِدَين ، والعَطفَ على الفُقَـراء ، والإنْفـاقَ فى سَبيلِ اللّه ، والعِبادَةَ الّتى لا تَنقَطِع .

قالَ سامِح : ليسَ ذلِكَ فَقط يـا ياسِر ، ولكنَّـهُ كـانَ كذلِكَ غَيورًا على الإسْلام ، يَحزنُ لانْشِغالِ النّاسِ عـنِ العِبادَةِ بالدُّنيا وأحْوالِها . فـذاتَ يَومٍ وهـو بالسّـوق ، هالَه انْشِغالُ النّـاسِ بالدُّنيـا ، وبـالبَيعِ والشِّـراء ، فقـالَ لَهم : ما أعجزَكم يا أهلَ المَدينَة ! فميراثُ رَسولِ اللّهِ ــ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ــ يُقَسَّمُ وأنتُـم هُنـا . ألا تَذهَبـونَ

وتَأخُذونَ نَصيبَكم ؟

قالوا : وأينَ هُو يا أبا هُرَيرَة ؟

قالَ : في المَسجد .

فأسْرَعوا إلى المَسجد ، ثمَّ عادوا إليه يَتساءَلون : لقد أتَيْنا المَسجدَ يا أبَا هُرَيرَة ، فدَخلنا فلَم نَرَ شَيْئًا يُقَسَّم .

فسألَهم : ألَم تَجِدوا أحَدًا بالمَسجد ؟

قالوا : بَلى .. رَأيْنا قَومًا يُصلّون ، وقَومًا يَقرءونَ القُرآن ، وقومًا يَتذاكَرونَ في الحَلالِ والحَرام .

فقال : وَيحَكُم ! ذلِكَ ميراثُ مُحمَّد ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ .

ابتَسم أحمدُ وقال : لقد لَفتَ نَظرَهُم لانْشغالِهم بالدُّنيا عنِ الآخرَة ، بطَريقَةٍ مُهذَّبةٍ لَبِقة ، وبدونِ أن يُسفِّهَهُم أو يُحرِجَهم .

قالَ ياسِر : ولا تَنسَوا وَصفَه العِلمَ ، ومُدارَسَةَ

القُرآن والحَديثِ والفِقهَ ، بميراثِ الرَّسول . فالمرءُ دائمًا يَعتنى ويَهتَمُّ بما يَرِثُه من مُقْتَنيات أحْبابه .

قالَ سامح : ونعودُ لأبى هُرَيرَة ، ففى العامِ التّاسعِ والخَمسينَ منَ الهِجْرَة ، مَرِضَ واشتَدَّ عَليهِ المَرَض ، وبينَما زُوّارُه يَدعون له بالشِّفاء ، نَجِدُه يَدعو رَبَّه ويَقول : اللّهُمَّ إنى أُحِبُّ لِقاءَك ، فأَحْبِب لِقائى .

وماتَ أبو هُرَيرَةَ عن ثَمانٍ وسَبعينَ سَنَة ، ودُفِنَ فى البَقيعِ بالمَدينَةِ المُنوَّرَة .

سأَلَ أحمد : أتَعرِفُ يا سامحُ كَمْ حَديثًا رَواها عَن الرَّسول ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ ؟

قالَ سامح : رَوَى أبو هُرَيرَةَ عنِ الرَّسولِ ما لا يَقِلُّ عن ألفٍ وسِتِّمائةٍ وتِسعَةٍ منَ الأَحاديث .

قالَ أحمد : نَشكُرُكَ يا سامِحُ على قِصَّتِكَ الطَّريفَةِ المُفيدة ، ونَشكُرُ العُصفورَ الّذى سَقَطَ من الشَّجَرَة ،

وكانَ سَبَبًا في روايَتِها لَنا .

قالَ سامِح : والآن ، هَيا إلَى اللّعب .

قالَ ياسِر : لنَتّفِقْ أوّلاً قبلَ أن نَلعَب ، أنْ يَقرأَ كلٌّ مِنّا قِصّةً كلَّ يَوم ، ويَقُصّها على رِفاقِه قبلَ أن نَذهَب لِلّعبِ .

قالَ أحْمد : هَذِه فِكرَةٌ رائِعَة ، وأنا على اسْتِعدادٍ لأنْ أكونَ الرّاوِيَ غَدًا إنْ شاءَ اللّه .